من كون السورة مدنية كما نقله في الاتقان عن بعضهم واقره فلا
حاجة لتجويز انه كان يستغفر له الي ان نزلت لان التشدد مع الكفار
انما ظهر في هذه السورة ثم لفظ البخاري في التفسير فانزل الله بعد
ذكر فقال في الفتح الظاهر ان ولما بعده نزلت بعده بمدة وان واضح التفسير
انتهى وكانه لم يقف على القول باستثنائها مع كونها مدنية
فان صح فلا يعارضه قوله بعد ذلك لكون المعنى بعد موته والاستغفار
له بمكة او المدينة فالبعد يحتمله واما قول السيوطي في التوشيح
المعروف انها نزلت لما زار صلى الله عليه وسلم قبر امه واستاذن في
الاستغفار لها كما رواه الحاكم وغيره فتساهل جدا لا يليق بمثله
فانها لا تعادل رواية الصحيح لم قرر الذهبي في مختصر المستدرك
تصحيح الحاكم بان في اسناده ايوب بن هانئ ضعفه ابن معين ونحا
السيوطي نفسه في الفوايد من الذهبي ليعني ان الحديث فيه ابن
مع ان ده في مختصر المستدرك قال وله علة ثابتة وهي مخالفته
للمقطوع بصحته في البخاري من ان ولما عقب موت ابي طالب ثم قال
السيوطي بعد طعنه في جميع احاديث ان ولها في امه
فبان لعدا ان طرقه كلها معلولة خصوصا قصة نزول الاية
الناهية عن الاستغفار لانه يمكن الجمع بينها وبين الاحاديث
الصحيحة في تقدم نزولها في ابي طالب انتهى وقد تقدم ذلك
مبسوطا بما يتعلق بهذه الاية وان كان سببها خاصا عامة
في حقه وحق غيره ولذا استشكل قوله صلى الله عليه وسلم
يوم احد اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون واجيب
بانه اراد الدعا لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم بدليل رواية
اللهم اهد قومي وبانه اراد مغفرة تصرف عنهم
عقوبة الدنيا من مسخ وخسف وانزل الله في ابي طالب
ايضا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي
من احببت هدايته او لغ ايه اي لبس ذلك اليك ولكن
الله يهدي من يشا وانما عليك البلاغ ولا ينافيه قوله
تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي اثبته
واضافه اليه هداية الدعوة والدلالة والمنفي هداية التوفيق
وفي الصحيح للبخاري ومسلم عن العباس انه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك بضم الحا المهملة
من الحياطة وهي المراعاة وفي رواية يحفظك وينصرك ويغضب
لك يشير الى ما كان يرد عنه من قول وفعل ووجه تلميح
الى ما ذكره ابن اسحاق قال ان خديجة وابا طالب هلكا في
عام واحد وكانت خديجة وزيرة صدق له على الاسلام يشكو
اليها وكان ابو طالب له عضدا وناصرا على قومه
فلما هلك نالت قريش منه من الاذى ما لم تطمع به في حياته

حتي

حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابا فحدثني
هشام بن عروة عن ابيه قال فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيته يقول ما نالتني قريش شيا اكرهه حتى مات ابو
طالب ذكره في الفتح هل نفعته ذلك قال نعم وجدته في غمرات
من النار فاخرجته الى ضحضاح بضادين معجمتين مفتوحتين
وحايين مهملتين اولاهما ساكنة واصله ما رق من الماء على
وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار قاله المصنف
وغيره وفي الفتح هو من الماء ما يبلغ الكعب ويقال ايضا
لما قرب من الماء وهو ضد الغمر والمعنى انه خفف عنه العذاب
انتهى زاد في رواية ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار
وصريح هذا الحديث انه خفف عنه عذاب القبر في الدنيا
كما يومي اليه كلام الحافظ ويوم القيامة يكون في ضحضاح
ايضا كما في الحديث الاتي ففي سوال العباس عن حاله
دليل على ضعف رواية ابن اسحاق لانه لو كانت تلك الشهادة
عنده لم يسال لعلمه بحاله وقد قال الحافظ هذا الحديث
لو كانت طريقه صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو اصح
منه فضلا عن انه لا يصح وضعف ما ذكره السهيلي انه راى
في بعض كتب المسعودي انه اسلم لان مثل ذلك لا يعارض ما
في الصحيح وروى ابو داود والنسائي وابن الجارود وابن
خزيمة عن علي لما مات ابو طالب قلت يا رسول الله ان
عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه
مات مشركا فقال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لي اغتسل وفي الحديث جواز زيارة
القريب المشرك وعيادته وان التوبة مقبولة ولو في شدة
مرض الموت حتى يصل الى المعاينة فلا تقبل لقوله تعالى
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وان الكافر اذا شهد
شهادة الحق نجى من العذاب لان الاسلام يجب ما قبله وان
عذاب الكفار متفاوت والنفع الذي حصل لابي طالب من خصائصه
ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ان اهون اهل
النار عذابا ابو طالب رواه مسلم انتهى ملخصا وفي الصحيح
للبخاري ومسلم ايضا عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر عنده عمه ابو طالب لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه
يغلي بفتح اوله وسكون المعجمة وكسر اللام منه دماغه وفي رواية
ام دماغه اي اصله من تسمية الشي بما يقاربه ويجاوره
وقد صرح العلما بان الرجا من الله ومن نبيه للوقوع بل
في النور عن بعض شيوخه اذا وردت عن الله ورسله

Copyright © King Saud University